٢ ـ الشريف الأدريسى

يضع أقدم وأصح خريطة جغرافية للدنيا القديمة

للأستاذ محمد عبد الله ماضى

عضو بعثة تخليد ذكرى الامام محمد عبده بألمانيا

٧ — الادريسى يضع خريطته بناء على نظريته السابقة .

وبناء على نظرية الأدريسى التى شرحناها وضع خريطته العالية هذه ، فهى تمثل القسم المعمور من الكرة الأرضية وهو القسم الشمالى منها كما قدمنا . هذا القسم يشمل القارات الثلاث : أفريقية الشمالية فى الجهة اليمنى العليا (الجنوب الغربى) ، أوربا فى الجهة اليمنى السفلى (الشمال الغربى) يفصل بينهما بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، وآسيا فى النصف الشرقى تشمل جميع الجهة اليسرى . وأميركا طبعاً لم تكن عرفت بعد ، وكذلك هذا التقسيم إلى القارات الثلاث لم يكن معروفاً لدى العرب على الاطلاق ، وانما كانوا يقسمون الكرة الأرضية إلى الأقاليم السبعة من الجنوب إلى الشمال ، ثم كل أقليم إلى عشرة أقسام من الغرب إلى الشرق ، وفوق هذا كانوا يقسمونها إلى الدول والممالك التى كانت معروفة فى ذلك الوقت .

٨ — الأقاليم السبعة وخطوط العرض .

والأقاليم السبعة كانت عند قدماء اليونان عبارة عن خطوط أفقية تبتدئ من خط الاستواء نحو الشمال وتحدد النقط التى تتم فيها زيادة النهار نصف ساعة على طوله فى المنطقة السابقة من جهة الجنوب ، ثم استعمل العرب الأقاليم وأرادوا منها المناطق التى تقع بين هذه الخطوط ، وتلك المناطق لم تكن متساوية عندهم . أما الادريسى فانه أراد من الأقاليم السبعة التى قسم خريطته إليها هذه المناطق التى كانت معروفة عند العرب ، ولكنها عنده متساوية المقدار إذا استثنينا الأقليم الأول الذى يمتد إلى درجة ٢٣° شمال خط الاستواء ؛ فالأقاليم الستة الباقية يشمل كل منها ست درجات من درجات العرض ، وعليه فالأقليم الثانى من ٢٤° — ٢٩° ، والثالث من ٣٠° — ٣٥° ، والرابع من ٣٦° — ٤١° ، والخامس من ٤٢° — ٤٧° ، والسادس من ٤٨° — ٥٣° ، والسابع من ٥٤° — ٥٩° .

ولما كانت نظرية الأدريسى أن المسكون من جهة الشمال هو لغاية درجة ٦٣° فقط ، لأن المنطقة التى تقع بعد ذلك شديدة البرودة ومغمورة بالثلوج فهى غير صالحة للسكنى والعمران . لما كانت هذه نظريته أضاف إلى الأقليم السابع الذى ينتهى بدرجة ٥٩° أربع درجات أخرى من جهة الشمال من ٦٠° — ٦٣° وبذلك يتم الجزء المعمور من الأرض . ومما يذكر للأدريسى بالاعجاب والفخر أنه حاول بتقسيمه الأرض إلى الأقاليم السبعة إثبات درجات العرض وتحديدها ، وأنه أفلح فى محاولته هذه إلى حد بعيد يجعل علماء الاختصاص فى الوقت الحديث يطأطئون الرأس له إعجاباً وتقديراً . ابتدأ الأدريسى باثبات درجات العرض من درجة ٢٨° إلى درجة ٦٣° على التوالى ، والدرجات التى أثبتها توافق الدرجات الحقيقية تمام الموافقة فى جميع البحار وفى معظم اليابسة حيث توفرت لديه الأسباب وأمكنه إجراء المقاييس الصحيحة ؛ وفى بعض جهات قليلة من اليابسة حيث لم تتم لديه الأسباب تختلف الدرجات التى أثبتها عن الدرجات الحقيقية اختلافاً بسيطاً . فمثلاً وضع الادريسى مدينة « كلمار » ببلاد السويد عند درجة ٥٦½° وهى تقع عند درجة ٥٦½° ، وجعل الدانيمرك ابتداء من ٥٤½° إلى ٥٨° والصحيح انها من درجة ٥٤° إلى ٥٧½° ، وجعل انكلترا من ٥٢° — ٥٨° بدلاً من ٥٠° — ٥٨½° ، وهذا طبعاً فرق بسيط فى جهات قليلة دعا إلى ارتكابه عدم توفر الأسباب كما قدمنا ، ولم تنقصه عناية الأدريسى ودقته . أضاف الأدريسى إلى القسم الشمالى من الكرة الأرضية جزءاً بسيطاً من القسم الجنوبى إلى درجة ١٦° جنوب خط الاستواء ، هذا الجزء الذى تقع فيه منابع النيل ، وبين عليه منابع النيل بشكل واضح يدل على مقدار براعته العلمية ، ومد الساحل الشرقى لأفريقيا نحو الشرق وجعله حداً للمحيط الهندى من جهة الجنوب ، وطبعاً لم يلق هذا الجزء عناية الأدريسى لخلوه من السكان وعدم صلاحيته لذلك طبقاً لنظريته التى شرحناها . كذلك لم يثبت الأدريسى درجات العرض إلى درجة ٢٨° شمال خط الاستواء ، وانما اكتفى بوضع أرقام بجانب أسماء البلاد التى تقع فى هذه المنطقة . ولما كانت هذه الأرقام لا تتطابق مع درجات العرض للبلاد الموضوعة بجوارها وانما

تختلف عنها اختلافاً كبيراً فاننا نستطيع أن نفهم السر فى أن العلامة الأدريسى لم يثبت هنا درجات العرض متوالية كما فعل بعد تلك المنطقة ، بل اكتفى بوضع الأرقام التى وصلت إليه فى مواضعها كما أخبر بها .

٩ — التقسيم الثانى (تقسيم كل من الاقاليم السبعة الى عشرة أقسام) .

وبعد هذا قسم الأدريسى كلا من الأقاليم السبعة الى عشرة أقسام متساوية من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، فالأقليم الأول يبتدىء من القسم الأول غرباً إلى العاشر شرقاً ، والثانى من الحادى عشر إلى العشرين ، وهكذا إلى الأقليم السابع الذى يبتدىء بالحادى والستين وينتهى بالسبعين . وعليه فأول الأقسام السبعين يوجد فى الجهة العليا من الغرب ، وآخرها فى الجهة السفلى من الشرق . بحث الأستاذ « ميللر » هذا التقسيم الثانى فتبين له كما ذكر أن الأدريسى لم يرد به إثبات درجات الطول ، وأن الباحث لخريطته والقارىء لكتابه نزهة المشتاق لايستطيع أخذ ذلك منهما ، فضلا عن أن هذا التقسيم يختلف اختلافا كبيرا عن درجات الطول . لهذا أريد أنا هنا أن أفرض أن الأدريسى اتخذ هذا التقسيم الثانى تسهيلا للقيام بالمهمة ورسم الخريطة لا غير .

١٠ — البحار السبعة .

وبعد هذا نريد أن نتكلم على البحار السبعة التى ضمنها الأدريسى خريطته ، وهى شىء آخر غير البحر المحيط أو بحر الظلمات الذى يحيط بالكرة الأرضية

(١) البحر الشامى أو الرومى (البحر الأبيض المتوسط) الذى يتفرع من بحر الظلمات الغربى ويمتد نحو الشرق .

(٢) خليج البندقية (بحر الأدرياتيك)

(٣) خليج القسطنطينية (البحر الأسود) وهذان يتفرعان من بحر الروم .

(٤) البحر القزوينى أو بحر الخزر وهو بحر داخلى غير متصل بالمحيط الأعظم .

(٥) بحر الهند (المحيط الهندى) وهو يحتوى على ثلثمائة جزيرة يستمد ماءه من بحر الظلمات الشرق .

(٦) البحر الفارسى .

(٧) بحر السويس أو بحر القلزم (البحر الأحمر) وكل من هذين يتفرع من بحر الهند .

١١ — الادريسى يسير فى وصف للكرة الارضية بناء على التقسيم الثانى .

هذه البحار السبعة تخترق الأقاليم السبعة بحسب مواقعها ، ولقد وصفها الأدريسى وصفاً مسهباً دقيقاً ووصف جزرها والبلاد التى تقع عليها إلى غير ذلك فى كتابه نزهة المشتاق عند كلامه على الأقاليم السبعين التى شرحناها فى التقسيم الثانى . فانه اتخذ فى طريقة وصفه للكرة الأرضية أن ابتدأ بوصف القسم الأول من الأقليم الأول متدرجا نحو الشرق إلى العاشر ، ثم عاد الى القسم الأول من الأقليم الثانى متدرجا الى العشرين ، وهكذا سار فى طريقه الى أن تم الكلام على القسم الأخير من الكرة وهو القسم السبعون ، وعند كلامه عن كل قسم منها حدده وبين موقعه ، وتكلم عن مدنه وجباله وبحاره وأنهاره وعن كل ما يحتويه من ماء ويابس ، وعن الدول التى تشغله وعن سكانه وجنسياتهم وعاداتهم وعما يعيش فيه من حيوان وما ينبت فيه من نبات ، مبينا كثيرا من خواص ذلك ، طبيعية وطبية الى آخر ما ضمنه نزهة المشتاق من الشرح المسهب والملاحظات الدقيقة .

١٢ — مصير المائدة الفضية وأثر خريطة الادريسى الذى تركته فى علم الجغرافيا ورسم الخرط .

شرحنا كيف وضع الأدريسى خريطته وكيف ألف شرحها ،

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

*ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى

فيه تاريخ مفصل لمحاكم التفتيش الشهيرة ونظمها ، ومجموعة كبيرة من المحاكمات والصور التاريخية فى ٥٥٠ صفحة كبيرة ثمنه ٣٥ قرشاً

*مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية

فيه تاريخ مفصل للفسطاط والقاهرة وآثار الخطط المصرية ثمنه ١٥ قرشاً

ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى

عرض نقدى لحياة المؤرخ الفيلسوف وتراثه فى مائتى صفحة ثمنه ٨ قروش

كلها مطبوعة بدار الكتب (والثمن يرفق بأجر البريد) وتطلب من المؤلف بمصر بشارع الساحة نمرة ٣٩ تليفون ٤٤٦٨٣ وجميع المكاتب

ولقد تم حفر المائدة الفضية ورسم الخريطة وتأليف الكتاب ونشرهما واختيار الأسماء لها بأمر رجار الثانى فى يناير سنة ١١٥٤ كما سبقت الأشارة الى ذلك ، وبعد إتمام هذا العمل الجليل بستة أسابيع عاجلت المنية رجار الثانى ، ولكن لله الحمد بعد أن استراح ضميره ووصل الى حل ما استعصى عليه السنين الطوال .

وبعد أن قدم للعالم والعلم على يد الأدريسى خدمة من أجل الخدمات فى التاريخ ، ولعله يشوق القراء الآن أن يعلموا مصير المائدة الفضية وماذا فعل الله بها وإن كان مصيرا يوجب الأسف ويثير العبرة ، ففى سنة ١١٦٠ ميلادية بعد وفاة رجار الثانى بست سنوات وفى عهد ابنه « فلهلم » هاجم الثوار القصر الملكى واقتحموه وكان أشنع أعمالهم التى لم تكن موجهة إلى الأسرة النورمانية فقط ، وإنما قد ارتكبت — على الثوار أو لم يعلموا — ضد العلم والعالم أجمع . كان أشنع هذه الأعمال أنهم كسروا هذه المائدة واقتسموها فيما بينهم وما هى حقاً الا ثورة ، والثورات لا عقل لها ، تم هذا الجرم على مرأى ومسمع من الأدريسى الذى بذل مع مليكه من الجهد ما استغرق السنين الطوال وما كلفهما كثيراً من التضحيات ، حتى أبرزا عملهما القيم للوجود ، والذى كان يستطيع أكثر من غيره أن يقدر قيمة عمله العلمى والفنى . لم يبق بعد هذا إلا خريطة الحائط وخريطة الكتاب الموزعة فى السبعين قطعة التى هى أقسام الأقاليم السبعين كما ذكرنا . انتشرت هذه الخريطة فى بعد أشد الانتشار وأعمه ، وتركت أثراً واضحاً فى المؤلفات والخرائط الجغرافية التالية لهذا العصر فى الشرق والغرب ، وظلت مع شرحها مئات السنين المرجع الوحيد لعلماء الجغرافيا من العرب والأفرنج . ومعينهم الذى يستمدون منه معلوماتهم . ولقد ذكر الأستاذ ميللر بعض أسماء المؤلفات التى يظهر فيها أثر خريطة الأدريسى وكتابه بوضوح عند أول نظرة ، منها كتاب الجغرافيا لابن زيد المولود بنرناطة سنة ١٢١٤ والمتوفى بتونس سنة ١٢٧٤ ومنها خرائط مارينو زانوتو Marino Sanuto التى وضعها (بطرس فيسكونتى Potros Vesconte فى سنة ١٣١٨ — ١٣٢٠ م . والتى انتشرت فى جميع أنحاء أوروبة . الى آخر ما عدد من أسماء المؤلفين والمؤلفات التى قد يكون لنا أن نكتفى منها بما ذكرنا .

(يتبع)

محمد عبد الله ماضى

مدارس النيل بشبرا

جزء من معمل الكيمياء بمدرسة النيل الثانوية للبنين